

كوكبةٌ من رسل الفارسيّة عبر العالم

د. عباس خامه يار*

في معرض دراسة علاقة التأثير والتأثير المتبادلين بين الفارسيّة والعربيّة على صعيد الأدب واللغة، ترجمةً وشرحًا ونقلًا، نستحضرُ في كل مرّة مسيرة شخصياتٍ عظيمة أدّت دور الرسول بين الثقافتين، فكانت خير مؤسسٍ للتبادل الحضاري والثقافي في تاريخ الفكر البشري. في هذا السياق، كان من واجبي بالنظر إلى مهنتي في مجال الثقافة وعلاقاتي بنخب البلدان التي زرتها، أن أدوّنَ وأورّخَ مسيرة بعض العظماء الذين اهتمّوا بالحضارة الفارسيّة العريقة تارةً، وإلى الإسلام وأهل البيت عليهم السلام تارةً أخرى، فكان نهجهم متأثرًا بنهج البلاغة ونظموا الملاحم في الحسين وأهل البيت. تناولتُ في كتابي ومقالاتي الشخصيات المسيحيّة اللبنانيّة والعربيّة التي كرّست أديها وفكرها وقلمها لأهل البيت مثل سليمان كتاني، جورج جرداق، ميشال كعدي، جورج شكور، أنطوان بارا وآخرين. وهنا أتطرّق إلى بعض الشخصيات العالميّة من الذين جذبتهم الحضارة الإيرانيّة واللغة الفارسيّة، بعد أن تحدّثتُ في العدد السابق من المجلّة عن المرحوم الدكتور فكتور الكك ومسيرته الأدبيّة الزاخرة.

- البروفسور "جون روبرتو"، خبير إيران الإيطالي الشهير

صباح الأحد ١٠ يوليو ٢٠١٨ م، ودّع البروفيسور جان روبرتو سكارجا هذا العالم عن

*المستشار الثقافي للجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة في لبنان، Email: khameyar1@yahoo.com

عمر يناهز ٨٥ عامًا. كان جان روبرتوسكارجا أستاذًا يعلِّم اللغة الفارسية وآدابها وتاريخ إيران في الجامعات الإيطالية، مثابرًا في عمله من دون كلل، وهو يعدُّ من العلماء المرموقين في هذا العصر. كان معروفًا بصفته متخصصًا في تاريخ الحضارة الإسلاميَّة؛ الديانات في إيران وآسيا الوسطى، والحقوق الإسلاميَّة. إلى جانب إتقان هذا الأستاذ الراحل اللغَّة الفارسية ونطقه الحلو والسلس بها، كان أستاذًا ورئيسًا لعددٍ من الكليات في جامعات إيطاليا. قام سكارجا بصفته أستاذًا للغة الإيطالية في جامعة طهران، بتعليم عددٍ كبير من الطلاب. من عطاءاته الثمينة، مساعيه لإيجاد مركزٍ للبحوث الإيرانية في الجامعة في إيطاليا، وكذلك حضوره الفعَّال والمؤثر في المؤتمرات الدوليَّة للبحوث الإيرانيَّة وغير ذلك الكثير.

ومن أبرز مشاريعه البحثية، الترجمة الإيطاليَّة للنصوص الفارسيَّة، الأفغانيَّة، الطاجيكيَّة وغيرها، وعلى رأسها الترجمة بالإيطاليَّة لغزليات حافظ، فضلًا عن تحليل الأنماط والدلالات والرموز في الآداب والفنون الإيرانيَّة قبل الإسلام؛ تجميعه لمختارات من الأشعار الإسلاميَّة الكلاسيكيَّة؛ دراسة تأثير الغرب على الشرق في القرن السابع والثامن الميلاديين؛ تأثير الإيرانيين في الغرب عبر المحيط الهندي والأندلس وغيرها.. كل ذلك ضمن ٣٣٠ كتابًا ومقالةً. أمَّا أشهر أعمال البروفيسور سكارجا فترجمة غزليات حافظ التي أنجزها في العام ٢٠٠٥ ميلادي.

آخر مؤلفاته، وهي كتاب "في بلاد السبع النيام (أصحاب الكهف)"; "المراجعات"، "الملاحظات والنظريات"; فضلًا عن مقدمة للترجمة الإيطاليَّة لكتاب "جوبيار لحظه ها" الذي نشرته المستشارية الثقافيَّة للجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة في إيطاليا العام ٢٠١٨، مظهرًا آخر من فعاليات هذا العالم العلميَّة حتى آخريات حياته الزاخرة.

- البروفيسور كورودا" الباحث الإسلامي الياباني ومترجم نهج البلاغة

في السادس من مايو ٢٠١٨، تلقيتُ خبر وفاة شخصية بارزة وباحثٍ إسلاميٍّ معروفٍ في اليابان، البروفيسور كورودا، عن عمر يناهز الـ ٨٤ عامًا، وقد كان خبيرًا مؤسِّقًا للغاية؛ وجرت مراسم تشييع جثمانه ووداعه يوم الأحد في ١٢ مايو بحضور

محبّيه وتلاميذه في طوكيو.

قضى كورودا أكثر من نصف قرن من عمره في تعريف الإسلام والفكر الإسلامي للمجتمع الياباني، وتشرّب نهج البلاغة حيث ترك أثره الخالد في ترجمة هذا الكتاب النوراني باللغة اليابانية، وأمضى أكثر من عشر سنوات برفقة هذا الكتاب العظيم، ولا أدري لمَ ذكرتني وفاته تلقائيًا بالمرحوم جورج جرداق، فأنا أوّمن بأن هؤلاء العظماء الذين كانوا السبب في مزيد من التعريف بشخصية الإمام علي (ع) الإلهية بميولهم ورؤاهم الدينية المتفاوتة، هم في موضع القرب واللفظ الإلهيين. لطالما كان وسيبقى حيًا اسم البروفيسور كورودا وذكره الطيبة في أذهان الإيرانيين، لا سيما وأنه عاش عدة سنوات في إيران، وقد استفاد في بحوثه حول الثقافة الإيرانية-الإسلامية من شخصيات مثل توشييهيكو إيزوتسو وهنري كوربان وسيد حسين نصر. كما أن مؤلفاته سوف تبقى خالدة لما لها من أثر في فهم المعارف والرؤى الإسلامية بشكل أفضل وأكثر دقة، حتى أن هذه الكنوز الخالدة التي تركها الأستاذ كورودا كانت على مدى سنوات مرجعًا للمفكرين، والأساتذة، والباحثين، والمهتمين من اليابانيين.

خلال مراسم تشييعه، في أثناء تكريم هذه الشخصية الفاضلة، قدّمت للبروفيسور لوحة شرف أفضل كتاب العام في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وذلك لترجمته القيّمة لكتاب "بداية الحكمة" للعلامة الطباطبائي، إلى جانب كتب أخرى منها نهج البلاغة". هذا إلى جانب مؤلفاته الأخرى المهمة والمؤثرة والتي يبلغ عددها ٢٠ مؤلفًا في الترجمة والتأليف في مختلف المجالات الإسلامية مثل "تاريخ الفلسفة الإسلامية" لهنري كوربان من الفرنسية؛ "ثلاثة حكماء مسلمين" لسيد حسين نصر من الإنجليزية؛ "تاريخ الإسلام وإسبانيا" لمونت كومري وات من الإنجليزية؛ "مقاصد الفلاسفة" للغزالي من العربية و"الاقتصاد الإسلامي" و"الفلسفة الإسلامية" للسيد محمد باقر الصدر من العربية، إلى جانب تأليف كتب مثل "بنية الإسلام"؛ "الاقتصاد الإسلامي"، "طريقة التحقيق الإقليمي والشرق أوسطي" وغيرها.

كذلك حصد البروفيسور كورودا جائزة ترجمة الكتاب الياباني الثقافية وذلك

لترجمته كتاب "تاريخ فلسفة الإسلام". يمكن عدّ البروفيسور كورودا من رواد الباحثين في العلوم الإسلاميّة في اليابان، الذين عملوا على التعريف بالأبعاد السياسيّة، الاقتصاديّة، الفقهيّة، الكلاميّة والثقافيّة للإسلام الشيعي، حيث سعى إلى عرض وقائع العالم الإسلاميّ بصورة شفافة ودقيقة ومنصفة، وقد ترجم في هذا المجال بعض أهمّ آثار المفكرين الشيعة.

لا شكّ في أنّه أدّى دورًا فريدًا في التعريف بالصورة الحقيقيّة لإيران والإسلام الإنسانيّ، المتسامح والمسالّم، مثل الكثير من الباحثين الموضوعيّين والمنصفين في العلوم الإسلاميّة والإيرانيّة، حيث بادر إلى توسيع نطاق التعامل والتعاون الثقافيّ بين الشعبين العظيمين الإيرانيّ واليابانيّ، وسنقدّر دائمًا جهود هذا الأستاذ الكبير لا سيما علاقته بالإمام علي (ع) التي تجلّت في ترجمة نهج البلاغة.

- جيلبير لازار؛ الرجل الذي أفنى عمره في نشر ثقافة إيران

بعد وفاة البروفيسور جون روبرتو والبروفيسور كورودا، وخلال أربعة أشهر فقط، توالى أحداث فقد الأحبة، حيث توفي "جيلبير لازار" عالم اللغة الفرنسي الشهير والباحث في الشأن الإيراني الذي قضى عمره في البحث في اللغة الفارسيّة والثقافة الإيرانيّة، (وذلك يوم الخميس ٦ أيلول ٢٠١٨) عن عمر يناهز ٩٨ عامًا. كان لازار شخصية بارزة وباحثًا متبحرًا ومقتدرًا عاش حياة مليئةً بالعبور والأعمال القيّمة.

على بُعد أكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر على الطرف الآخر من قلب أوروبا وبعد عامين على انتهاء الحرب العالميّة الأولى، ولد جيلبير لازار في الرابع من فبراير ١٩٢٠ في مدينة باريس. لم يخطر ببال والديه أنّ مصير ولدهما سوف يرتبط بأحد بلدان المشرق، في الشرق الأوسط وفي إيران بالذات. على الرّغم من أنّ فرنسا لم تكن قد لملت جراحها من الحرب، إلا أنّ الحياة كانت تسري في أزقتها. كان الأطفال يكبرون، يدرسون ويعملون لكي يعيدوا بناء فرنسا من جديد. من هؤلاء الأطفال كان جيلبير لازار، الذي كان قد أكمل دراسته في "إيكول نورمال سوبريور" مدرسة

المعلّمين العليا]؛ وهي إحدى الجامعات في منطقة "لاتن" في باريس، أُسست في البداية بهدف تربية المعلمين، لكنّها فيما بعد تحوّلت إلى مركز جذبٍ للنخب وتخريج الأساتذة والباحثين والمدراء. لكنّ معرفته بالمستشرق الفرنسي هنري ماسيه شكّلت نقطة عطفٍ في حياته. كان هنري ماسيه في ذلك الوقت أستاذ اللغة الفارسيّة في المؤسّسة الوطنيّة للحضارات واللغات الشرقيّة في باريس، كان له تأثيرٌ كبير على لازار الشاب، وقد اقترح عليه أن يتعلّم اللغة الفارسيّة. كأنما وضع جيلبير لازار قدمًا في عالمٍ جديد، وسرعان ما ذهّل بالأدب الفارسيّ الكلاسيكيّ شعرًا ونثرًا. كان يحبّ حافظ، ويعشق الشاهنامه، وكان متأثرًا بجلال الدين الروميّ المولويّ، على الرّغم من أنّه لم يكن يجيدُ قراءة عرفانيّات الرومي. كان حبّه جنونيًا للخيام، ولا أحد أثّر في نفسه مثلما فعل شاعر الرباعيّات والرياضيّ الفدّ؛ كان يقول: "قصائد الخيام شفافةٌ وصافية كالزلال". كان الأوّل والأفضل بالنسبة إليه. جذبه الخيام للمرة الأولى ولا أحد احتلّ في قلبه مكان هذا الشاعر النيسابوريّ العاشق طوال ٩٨ عامًا من عمره الغني. قبل أن يغمض عينيه إلى الأبد في ٦ سبتمبر ٢٠١٨، وقبل أن يوارى الثرى في مسقط رأسه.

"لكلّ إنسانٍ ثلاثة منازل؛ الأوّل هو المكان الذي يولد فيه، والثاني هو المكان الذي يُكْتَبُ فيه مصيره، والمكانُ الثالثُ هو الشعر". ربما هذا القول يُظهر أكثر من أي شيءٍ آخر تعلق لازار الكبير بالشعر والأدب الفارسيّين، لكنّه لم يكن مجرد قارئٍ محبّ، لقد وهب عمره في تعريف العالم باللغة الفارسيّة؛ الأمر الذي لم يستطع ملايين الإيرانيين فعله، أو حتى لم يكن لديهم الدافع للقيام به، إلا أنّ جيلبير لازار من الطرف الآخر من العالم، كان قلبه ينبض بحبّ اللغة التي رسمت العشق والعرفان بأكثر الصور شاعريّةً.

في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، كان جيلبير لازار يبحث عن "مستقبلٍ مشوّق"، لكنّ لم يخيل إليه أن يجد ضالّته في ثقافة إيران الأصيلّة. حينما أنهى دراسته المتوسطة، وكان يتوق إلى دخول الجامعة، كان أمامه طريقتان، الأوّل في قلب آسيا، والثاني في غرب أوروبا. كان حائرًا بين خيام إيران وحافظها، وبين

أرسطو اليونان وأفلاطونها. وصلته منحةٌ دراسيةٌ في أوروبا. كانت أمامه جامعتان في اختصاص اللغة والآداب.

كان بإمكانه أن يصبح "Philhelens"، ويتبحر باحثًا في الحضارة اليونانية، إلا أنه غير مساره باتجاه إيران فأصبح "Persophiles"؛ عاشقًا لإيران والحضارة الإيرانية الأصيلة. كأنما الخيام قدّم يد العون الخفية للآزار في اختيار الجامعة والاختصاص المتعلّقين بإيران.

في العام ١٩٤٨، حصل لآزار على دبلوم اللغة الفارسية من المؤسسة الوطنية للغات والحضارات الشرقية، وبعد ١٠ سنواتٍ أصبح أستاذ اللغة الفارسية في هذه المدرسة، ومارس التعليم لمدة ٨ سنوات. حتّى أنّ طلاب السوربون، أشهر جامعات فرنسا، أفادوا من تدريسه وعلمه. في العام ١٩٦٦ أصبح أستاذ الحضارات الإيرانية في هذه الجامعة، وتولّى إدارة قسم العلوم الشرقية وإدارة مؤسسة الدراسات الإيرانية في جامعة السوربون. وفي جامعة طهران كان لآزار على تواصلٍ مع أساتذة مثل بديع الزمان فروزانفر، مجتبی مینوی وذبیح الله صفا، كما التقى بعلي أكبر دهخدا ووجد أصدقاء كثيرين مثل صادق هدايت وحسن شهيد نوري.

لقد كرّس البروفيسور جيلبير لآزار عقدين من حياته الزاخرة للتعليم والتدريس وعرّف جيلين عبر العالم اللغة الفارسية. طلابٌ جامعيون كثرون من إيران وأفغانستان ودول آسيا الوسطى والاتحاد السوفياتي سابقًا، حضروا دروسه. ترك لآزار الكثير من المقالات والمؤلفات مثل "دستور اللغة الفارسية المعاصرة"؛ "تشكل اللغة الفارسية"؛ "دراسة أوزان الشعر الإيراني"، وعشرات المؤلفات القيّمة الأخرى. أمضى سنواتٍ طويلةً في تجميع المعجم الفارسيّ-الفرنسيّ؛ "قاموس" تحول إلى مرجع مهمّ للباحثين في اللغة. أجرى البروفيسور لآزار بحثًا واسعًا في قواعد اللغة الفارسية وجمع ثمرةً جهوده في كتاب. هذا الأثر النفيس الذي استغرق إعدادُه وتدوينه عشرين عامًا، نال استحسان علماء اللغة المحترفين مثل عبدالعظيم قريب، مؤسس قواعد اللغة الفارسية الحديثة.

استفاد طلابٌ كثيرون من دروس جيلبير لآزار، والكثيرون منهم أصبحوا أساتذة

وعلماء لغة في مجال الأدب الفارسي. أشهرهم "هنري دو فوشيه كور"، مترجم ديوان حافظ ومقالات شمس باللغة الفرنسية. ومن طلابه الإيرانيين كذلك يمكن ذكر الدكتور علي شريعتي. ربّما أمكننا القول إنّ آخر حضور رسمي له في المحافل الإيرانية كان في حزيران العام ٢٠١٧ في المركز الثقافي الإيراني في باريس، حيث نال هذا العالم اللغوي الفرنسي البارز والخبير في تاريخ إيران، خلال مراسم تكريمية، الجائزة الـ ٢٤ التاريخية الأدبية لـ "مؤسسة آثار الدكتور محمود افشار يزدي". رحل البروفسور جيلبير لازار عن هذا العالم بعد أن بلغ الثامنة والتسعين من عمره، وعاش حياة زاخرة بالبحث والتأليف، ووُوري الثرى في باريس.